

المهمة الأولى للعقيد فلاتيرز الى أزجرو دورها في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري 09

جانفي 1880 – 3 جوان 1880

The first mission of colonel Flatters to azjer and its role in the french expansion in southern Alegria, january 9, 1880 – june 3, 1880

1- معمور قرقاز* جامعة امين العقال الحاج موسى اق اخموك تامنغست - مخبر الموروث العلمي

والثقافي لمنطقة تامنغست

korkazmaaamare@gmail.com

korkazmaamar@univ-tam.dz

2- ا د محمد مبارك كديدة جامعة امين العقال الحاج موسى اق اخموك تامنغست - مخبر الموروث

العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست

m.mebarektam@univ-tam.dz

تاريخ النشر: 2025 / 06 / 05

تاريخ القبول: 2025 / 05 / 30

تاريخ الاستلام: 2025 / 01 / 16

ملخص:

يتناول هذا البحث مهمة فلاتيرز الى ازجر من 09 جانفي 1880 – 3 جوان 1880، وفيه تناولت تعريف العقيد فلاتيرز وتعريف الإطارات الفرنسية المشاركين في المهمة، وظروف ودوافع المهمة، مسار المهمة، ونتائجها ودورها في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري كلمات مفتاحية: أزجر، فلاتيرز، ماسون، اخنوخن، اهيتاغل

Abstract:

This research deals with the mission of Flatters azjer from january 9, 1880 – june 3, 1881, from the introduction of colonel Flatters and définition of the franche tire participants in the mission, the circumstances and motivations of the mission, the path of the mission and its results, and the french expansion in southern Alegria

Keywords: Azjer, Flatters, Masson, Akhnokhen, Ahitaghel

● مقدمة

شكلت الصحراء دائما مجالا غامضا ومجهولا بالنسبة للفرنسيين والذين حالوا في فترات مختلفة ومراحل متعددة السيطرة على هذه الصحراء الشاسعة ومعرفة أخبارها وجمع المعلومات عنها وذلك من أجل أغراضها الاستعمارية بما فيها الأغراض السياسية والتوسعية والاقتصادية والدراسات الاجتماعية وغيرها، ومن أجل تضيق الخناق على مداخل الصحراء الجزائرية حيث كانت المقاومات الشعبية الجزائرية تلجأ إلى أعماق الصحراء عند اشتداد الضغط عليها، ولقد بدأت الرحلات الفرنسية إلى أقاليم الطوارق مع رحلة رينيه كاييه (1824 – 1828) René Caillie، وهنري بارث (1853 – 1855) Henri Barth وإسماعيل بوضربة (1811 – 1875) ثم هنري دوفيرييه (28 فيفري 1840 - 1892)، ثم إرسال البعثة الصحراوية بقيادة ميرشير والتي عقدت اتفاقية غدامس مع طوارق أزجر في نوفمبر 1862، ثم ظهرت مرحلة المشاريع الفرنسية في الصحراء مثل مشروع البحر الداخلي في 1875، ومشروع سكة حديد الصحراء لربط شمال إفريقيا بالسودان وتومبكتو عبر الصحراء الجزائرية حيث كانت مهمتي العقيد فلاتيرز جزءا من هذا المشروع، ومن هذا المنطلق حاولت طرح الإشكالية: ما هو دور مهمة العقيد فلاتيرز إلى إقليم أزجر 09 جانفي 1880 – 3 جوان 1880 في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري؟

1. التعرف بالأعضاء الأساسيين للمهمة:

1.1 تعريف العقيد بول فلاتيرز Paul Flatters:

ولد العقيد بول فلاتيرز في لافال سنة 1832 م حيث زوال دراسته الابتدائية في لافال، انتسب مبكراً إلى الجيش الفرنسي وفي أفريل 1855 م تم إرساله إلى جزيرة القرم ليشترك في حرب القرم وعُيّن كقائد للفرقة الثالثة للزواف حيث تم ترقيته بهد هذه الحرب إلى رتبة مقدم، في 1856 م وبعد نهاية حرب القرم دخل الجزائر مع الفرقة الثالثة للزواف ليصبح من أهم الشخصيات العسكرية المكلفة بشؤون الأهالي وفي 1861 م أصبح قائداً للفيلق الثالث للرماة الجزائريين وفي 22 جويلية 1871 م تم منحه وسام جوقة الشرف، عين الجنرال شانزي العقيد فلاتيرز في منصب القائد الأعلى في الاغواط حيث استطاع العقيد فلاتيرز التعامل مع قبائل البدو الرحل واستطاع النفوذ بين البدو الرحل وتشكيل صداقات ومعارف في أوساط البدو الرحل من لرباع، الشعابنة، الطوارق وغيرهم في الصحراء بصفة عامة، شغل العقيد فلاتيرز عضو اللجنة العليا للمهام الصحراوية ونظراً لمكانته الكبيرة ومعرفته بالبدو الرحل تم تعيينه كقائد عام للجنة العليا للمهام الصحراوية، كان العقيد فلاتيرز أشقر اللون ذو بنية أقل من المتوسط، تميز بشخصية قوية وتميز بالصراحة والحيوية، كان محل تقدير واحترام من قبل أفراد كتائب الزواف نظراً لتاريخه العسكري مع هذه الكتائب، تحمس العقيد فلاتيرز بقوة لاكتشاف الصحراء وسبر أغوارها

وهو الذي عمل في تخوم الصحراء في الاغواط حيث عرف الصحراء عن قرب ورغب في اكتشافها، تحمس العقيد فلاتيرز بشدة لربط القوافل الصحراوية والتجارة الصحراوية بفرنسا، تخلى العقيد فلاتيرز عن حياته الشخصية من اجل اكتشاف الصحراء حيث تخلى عن زوجته وابنه بعد بداية عمله من اجل اكتشاف الصحراء، ساهم في دراسة مسار سكة الحديد، قتل من طرق قبائل طوارق أهقار في بئر الغرامة في 16 فيفري 1881¹، في تعريف العقيد فلاتيرز تجمع المصادر الفرنسية على تمجيد هذه الشخصية وتصفه بأنه ناقل الحضارة الفرنسية الى الشعوب المتوحشة والمقهورة، ونعلم ان هذه الادبيات الفرنسية كانت بسبب فشل الذريع لفلاتيرز في مهمته الاولى وأيضا الى وطنية و يقظة الطوارق

2.1 تعريف النقيب ماسون Pierre-René Masson

ولد بيير رينيه ماسون في مدينة (Rambouillet) رامبولىيه الفرنسية في 13 ديسمبر 1845، بدأ تعلمه الاولى في مسقط رأسه في مؤسسة هيرت التعليمية ثم انتقل الى مدرسة الثانوية بفرساي في الصف الثاني، في أكتوبر 1864 دخل المدرسة العسكرية في سان سير، وفي 1 جانفي 1867 انتسب الى المدرسة الحكومية الكبرى وتخرج منها برتبة ملازم اول وذلك في 1 جانفي 1869، في جوان 1870 حضر وشارك في المعارك هناك ثم أسر وعاد من الاسر الى فرنسا في افريل 1871، بعدها تم تعيينه في قيادة اركان الجيش الفرنسي، دخل الى الجزائر واجرى تدريبات في مشاة فرقة الزواف في الجزائر العاصمة وذلك من سبتمبر 1870 الى غاية سبتمبر 1873، حصل على دورات في سلاح المدفعية في رين بفرنسا من أكتوبر 1873 الى أكتوبر 1874 وفي نوفمبر 1874 التحق بفرق الجيش في ناحية وهران، شارك في معركة واحة العامري في 1876 وأصيب فيها بحراج ونال على اثرها وسام جوقة الشرف، قتل على يد الطوارق في معركة بئر الغرامة في 16 فيفري 1881²، تم التعريف بالعقيد فلاتيرز باعتباره قائد المهمة الاستكشافية بما فيها الجوانب السياسية والعسكرية و العلمية و التنظيمية والنقيب ماسون باعتباره نائب قائد المهمة المكلف بالشؤون العسكرية و ممثل قيادة الأركان الفرنسية، مجدت الكتابات الفرنسية النقيب ماسون وتصفه بأنه كان يريد نقل شعاع الحضارة والتقدم الى الصحراء، لكن الضباط الفرنسيين والجيش الفرنسي جلبوا الخراب والدمار الى الصحراء والى الجزائر بصفة عامة

¹ V. DERREGAGAIX, EXPLORATION DU SAHARA, Les deux missions du lieutenant-colonel Flatters, paris, p 130

² Ipid, p 131

3.1 تعريف النقيب ديانوس Dianous:

ولد جوزيف غابريال هنري ديانوس Dianous في 23 جويلية 1845 م، في 12 جويلية 1867 م انتسب الى الجيش الفرنسي، في 1 سبتمبر 1871 حصل على رتبة ملازم وفي 2 جويلية 1874 حصل على رتبة ملازم ثاني، عمل في مكتب العربي بالأغواط لمدة سنتين حيث اكتسب خبرة كبيرة في التعامل مع البدو الرحل وأصبح لديه خبرة كبيرة في الشؤون الصحراوية، ثم تم تعيينه في بلاد القبائل ليعمل كمساعد لقائد المكتب العربي هناك ، شارك بكل قوة في مهمتي العقيد فلاتيرز الاولى في بلاد طوارق ازر والثانية في بلاد طوارق اهقار حيث تم تكليفه بالأمور الطبوغرافية، بعد معركة بئر الغرامة في 16 فيفري 1881 و التي قتل فيها العقيد فلاتيرز ، قاد النقيب ديانوس المنسحبين من الفرنسيين وباقي الشعانبة والعرب المشاركين في المهمة نحو ورقلة، وكان من الفرنسيين الذين تناولوا طحين التمر المسموم حسب الرواية الفرنسية للأحداث والذي قدمه لهم بعض الطوارق وهم في طريق الانسحاب، لكنه قتل مع جميع الفرنسيين الباقين في معركة حاسي مسقم مع قبائل الطوارق في شهر مارس 1881¹

4.1. تعريف برينجر Beringer:

ولد إميل برينجر في 19 جانفي 1840 في ستراسبورغ حيث درس هناك، وفي 19 سبتمبر 1857 تم تعيينه وكيلا للجسور والطرق، وفي أكتوبر 1861 تم تعيينه في شركات فرنسية في مجال الهندسة والطرق ، في 3 ماي 1866 انتسب الى شركة حفر قناة السويس في منصب كبير مساعدي مدير المشروع، حيث اكتسب خبرة كبيرة في مجال الانشاءات هناك ، في عام 1869 غادر شركة قناة السويس حيث عمل في انشاءات قناة السويس، في 1870 شارك في الحرب الفرنسية البروسية كمهندس مساعد في الفيلق 35 ، بعد الحرب عاد للعمل في شركة فرنسية لمدة 4 سنوات في كمساعد مدير مكتب في سكرتارية كبير مهندسي البناء، وفي ديسمبر 1874 عمل في البرازيل كمهندس رئيسي ورئيس الخدمة الطبوغرافية ، في ماي 1873 عاد من البرازيل ، في 1878 كتب مجموعة من المؤلفات منها بحث عن المناخ والوفيات في فرنسا إضافة الى مذكرات أخرى مثل خريطة مقاطعة موناكو ونشر مؤلفات أخرى نشرت في مجلة الجمعية الجغرافية الهولندية، بعدها تم تكليفه بمهام في شركة سكة الحديد الفرنسية، بعدها تم تعيينه في مهمة العقيد فلاتيرز الاولى ، حيث زود وزارة الاشغال العمومية بوثائق منها : مسودة أولية للسكك الحديدية،

¹ V. DERREGAGAIX, p 130

خريطة الصحراء اكثر من 600 كلم ، شارك في المهمة الثانية للعقيد في الهقار وقتل على يد الطوارق في معركة بئر الغرامة في 16 فيفري 1881¹

5.1 الدكتور غيارد :Guiard

ولد روبرت نيكولا جول غيارد في 5 فيفري 1851 في باريس، درس في ثانوية تورس، في 1869 دخل مدرسة ستراسبورغ للصحة العسكرية، وهناك حصل على الترتيب السابع من 110، في 1870 شارك في الحرب الفرنسية البروسية، في 1874 قدم أطروحة الدكتوراه حيث التحق بمستشفى سان مارتن العسكري، في 1876 ترقى الى رتبة رائد في الصحة العسكرية ، ارسل له فلاترز رسالة بعنوان هل تريد مرافقي الى تومبكتو ورد عليه الدكتور غيارد في نفس اليوم بالموافقة ، قتل من طرف قبائل الطوارق في معركة بئر الغرامة في 16 فيفري 1881²

6-1 المهندس روش :Roche

ولد جول روش في 14 فيفري 1853 بمدينة Eyguieres، تخرج من ثانوية مرسيليا في 1871، دخل كلية الفنون التطبيقية واختار مهنة التعدين، حصل على شهادة في الرياضيات، زار العديد من الدول الأوروبية مثل إيطاليا والنمسا والمجر وجنوب غرب فرنسا واسبانيا والجزائر، في 11 افريل 1878 تم تعيينه مهندس من الدرجة الثالثة، ثم عمل كمسؤول عن عدة مناطق فرنسا مكلف بالتعدين، في 16 ماي 1879 ارسل الى نيس كمسؤول عن مشاريع التعدين، سافر الى الجزائر واعجب بجمال المناظر الطبيعية ، بعد انتشار خبر مشروع سكة حديد الصحراء عرض المهندس روش نفسه على العقيد فلاترز للمشاركة في المهمة ، حيث تم تعيينه جيولوجي في مهمة فلاتيرز، قتل من طرف قبائل الطوارق في معركة بئر الغرامة 16 فيفري 1881³، ومن خلال هذه التركيبة المتنوعة في الأعضاء الرئيسيين للمهمة نلاحظ ونستنتج ان هذه المهمة تريد دراسة جوانب مختلفة ومتنوعة في حياة سكان الازجر والهقار.

¹ Henri Brosselard, Les deux missions Flatters au pays des touareg azdjer et Hoggar, Paris, 1889, p 66

² Ipid, p 269

³ Ipid, p 274

2. ظروف ودوافع المهمة:

تندرج مهمتي العقيد فلاتيرز إلى إقليمي أزجر وأهقار¹ في إطار رسمي فرنسي لدراسة معالم خط سكة حديد الصحراء خط الجزائر-السودان، بدأ الحديث و التفكير الفرنسي في انشاء خط سكة حديد الصحراء خط الجزائر-السودان مبكرا منذ احتلال الاغواط في 4 ديسمبر 1852²، كان التنافس الفرنسي مع مشروع مد السكة الحديدية في الولايات المتحدة الامريكية سببا في تحريك السياسة الاستعمارية الفرنسية التي ارادت ان تمتد خطا للسكة الحديدية يربط المستعمرات الفرنسية في الشمال الافريقي بمستعمرات فرنسا في السودان الغربي جنوب الصحراء ولقد بدأت هذه الفكرة العظيمة تساور الفرنسيين بشكل واضح ابتداء من سنة 1877 وكان أدولف دوبونشيل Duponchel مخترع هذا الحلم الفرنسي رجل يميل الى الكنيسة والتنصير³، وهنا نستنتج دور التعصب الديني في تحريك المشاريع الاستعمارية الفرنسية ويظهر أيضا التنافس الدولي حيث في نفس الفترة ظهرت مشاريع سكة حديد في روسيا وإنجلترا، وهذا الامر ينفي المزاعم الفرنسية في ان الهدف من سكة حديد الصحراء هو هدف انساني وخدمة الإنسانية وخدمة شعوب الصحراء ونقل الحضارة اليها عن طريق القاطرة البخارية

¹ أزجر وأهقار: هي أراضي التي فيها قبائل الطوارق وينتجعون فيها الكلاً وتشمل أراضي شاسعة وكبيرة تمتد من ورقلة شمالا و تومبكتو جنوبا ومن القطرون في ليبيا شرقا وتوات غربا، وهما إقليمان متجاوران يشكلان اثنان من أقاليم قبائل الطوارق الأربعة، ويحكمهما حاكم يسمى أمنوكال وتسمى كل واحدة منهما فدرالية والحدود بينهما هي الطريق التجاري الصحراوي ورقلة – كانو، وبشترك سكان أزجر وأهقار في العوائد والتقاليد ونظام الحكم السياسي واللباس وتحتل المرأة عندهم مكانة خاصة ومتميزة حيث يتوارثون الحكم عندهم عن طريق الأم أنظر:

إسماعيل العربي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهقار، مجلة الاصاله، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلام في تامنغست اوت 1979، ص 37 و

Commandat Rebillet, Les Relation Commerciales De La Tunisie avec le Sahara et le soudan, imprimerie berger – levrault, Nancy, 1895, p 74

² O. Mac Carthy, Les transsaharien, Africa bulletin de la société de géographie d'Alger, 1^{er} annee, 1880, p 52

³ محمد الطاهر العدواني، المشاريع الاستعمارية في الصحراء والمقاومة الوطنية حملة فلاتيرز 1880، مجلة الباحث، نوفمبر 1986، العدد 4، ص 74

في سنة 1876 بدأ مهندس الطرقات والجسور الفرنسي دوبونشيل العامل في وزارة الاشغال العمومية الفرنسية نشر دراسات حول خط سكة حديد الصحراء، رفع دوبونشيل تقريراً حول سكة حديد الصحراء الى وزى الاشغال العمومية الفرنسي دي فرينسيت De Freycinet والذي اقتنع وأعجب بفكرة انشاء سكة حديد الصحراء وفوائدها العظيمة على فرنسا، حيث سارع وزير الاشغال العمومية الى مراسلة رئيس الوزراء الفرنسي جول فيري Jules Ferry في 12 جويلية 1879 ذاكراً فوائد انشاء خط سكة حديد بالنسبة لفرنسا، حيث وافق جول فيري بسرعة على الاقتراح وذلك في 13 جويلية 1879 وأمر بتشكيل لجنة عليا لدراسات مشروع سكة حديد الصحراء خط الجزائر السودان وترأس هذه اللجنة وزير الاشغال العمومية وضمت في عضويتها هنري دوفيرييه¹ وفيرديناند دي ليسيبس والعقيد فلاتيرز وغيرهم من الضباط والمهندسين، في شهر ديسمبر 1879 كلفت هذه اللجنة ثلاث مهمات رسمية لدراسة خط سكة حديد الصحراء الجزائر السودان، المهمة الاولى بقيادة شوازي Choisy والتي كلفت بدراسة مسارين لسكة الحديد هما المسار الأول الاغواط-المنيعة والمسار الثاني بسكرة-ورقلة، حيث سافر الضابط شوازي في المهمة وحقق نتائج مرضية وسريعة ورفعها الى اللجنة العليا لدراسات مشروع خط سكة حديد الصحراء حيث استطاع شوازي وضع دراسة طبوغرافية وطبيعية لمسار سكة الحديد الاغواط-المنيعة ومسار ورقلة-بسكرة، أما المهمة الثانية فتم تكليف الضابط بويان Pouyane حيث كلف بدراسة مسار سكة حديد في الجنوب الوهراني حيث وصل الى غاية واحة تيوت وعاد ادراجه، أما المهمة الثالثة وهي المهمة الأهم فتم تكليف العقيد فلاتيرز بها وهي دراسة مسار سكة حديد ورقلة -السودان عبر أزجرو أو اهقار حيث تركت اللجنة الاختيار مفتوح للعقيد فلاتيرز وكان عند العقيد فلاتيرز مسارين الأول عبر بلاد طوارق الأزجرو والثاني عبر بلاد طوارق الهقار²، ومنه يظهر ان الأساس الأول لمهمة العقيد فلاتيرز الى

¹ هنري شارل دوفيرييه: ولد في باريس في 28 فيفري 1840، كان أبوه شارل من داعي لفكر السانسيموني الداعي لنشر الحضارة الغربية والمساند للرحلات الاستكشافية، دخل دوفيرييه مدرسة التجارة في مدينة ليبريج حيث تعلم هناك اللغة العربية، ولع دوفيرييه منذ صغره بالجغرافيا ورسم الخرائط والفلك وعلوم النباتات البرية و الطيور، قال دوفيرييه عن نفسه " كنت أشعر بجاذبية لا تقاوم نحو القارة الافريقية"، تصادق مع المستكشف الألماني الشهير هنري بارث¹ والتقى به سنة 1857 حيث قدم بارث نصائح قيمة وهامة لدوفيرييه في مجالات الرحلات الاستكشافية، قام هنري دوفيرييه برحلات مكوكية في الصحراء الجزائرية والتونسية والليبية حيث زار أولاً مناطق مثل الاغواط والمنيعة وبسكرة والجريد التونسي ثم قام برحلته الشهيرة الى بلاد طوارق أزجرو عام 1862 ونتج مؤلفه الهام جدا " طوارق الشمال"، انظر: 8- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص 85 78

² - p. vuillot. L'exploration du Sahara, augustin challamel, éditeur, paris, 1895 p 175

إقليمي ازجر وأهقار هو تنفيذ مخرجات اللجنة الوزارية الفرنسية حول سكة حديد الصحراء هذا من الناحية الظاهرية للمشروع إضافة الى الأهداف الخفية التي يبطنها الاستعمار في مخططاته مثل توسيع نفوذه وفرض سيطرته على مقدرات الشعب الجزائري وفرض الهيمنة والسيطرة بالقوة، ونلاحظ أيضا سرعة المصادقة على مشروع سكة حديد الصحراء من الرئيس الفرنسي مباشرة بعدما عرضه وزير الاشغال العمومية وهذا ينم عن تسرع الاستعمار في تثبيت اركانه في ظل انتشار المقاومات الشعبية مثل مقاومة أولاد سيدي الشيخ في هذه المرحلة وظهور حركة المداقنات وهي حركة مقاومة شملت أبناء الصحراء مثل الشعانبة¹ وغيرهم من واد درعة غربا الى طرابلس الغرب شرقا ومن الاغواط شمالا الى الصحراء الكبرى جنوبا

تظهر دوافع مهمة العقيد فلاتيرز واضحة من خلال رسالة وزير الاشغال العمومية الفرنسي دي فرينسيت الى فلاتيرز بتاريخ 10 ديسمبر 1879 وهي المهام و الأهداف التالية: المهمة سلمية وغير مسلحة وهدفها هو التفاوض مع زعماء قبائل الطوارق ، اكتشاف بلاد الطوارق وتحديد جغرافيتها بدقة، ضرورة الوصول الى اتفاق دائم وطويل الأمد مع الطوارق، الذهاب الى واحة تيماسينين² ولقاء زعماء الطوارق

¹ الشعانبة: من القبائل العربية التي تنحدر من بني سليم، تتشكل من ثلاث قبائل رئيسية كبيرة هي شعانة بوروبة وهم بدو رحل في نواحي ورقلة، وشعانة المواضي واستقروا في المنبعة وحالي المنبعة وشعانة برزقة والمقيمون في متليلي، ويتقسم الشعانبة الى أفخاذ وبطون ويمارسون حياة البدو الرحل شاركوا في انتفاضات متعددة مع أولاد الشيخ والشيخ بوعمامة وقبلهم مع الشريف محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة، وفي عهود قديمة كان الشعانبة يتقاسمون حماية تجارة الصحراء مع قبائل الطوارق. انظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص 163

² واحة تيماسينين: واحة صغيرة تضم من 200 الى 300 نخلة يسقيها بئر ماء يتدفق بمعدل لترين في الدقيقة، وهي ذات موقع جغرافي مهم حيث تقع على طريق مسارات القوافل التجارية في طرق عين صالح - غدامس - غات ، والواحة هي مكان لتوقف قوافل طوارق ازجر وأهقار ، تضم الواحة قبر المرباط سي موسى وهو قريب الشيخ عثمان بن الحاج البكري وهو الذي أسس زاوية هنا، دعي سي موسى أبناء قبيلته من الايفوغاس من ازجر الى اتباع الطريقة التجانية فرعا قمار وتماسين، يعيش في الواحة ويقوم بشؤونها رجل من عين صالح يسمى الحاج امبارك مع زوجته وأولاده حيث يرعى مع عائلته الزراعات المحدودة الموجودة في هذه الواحة الصغيرة والتي تبعد ب 10 أيام عن اقرب المراكز المأهولة بالسكان انظر :

اخنوخ¹ وأهيتاغل²، احياء اتفاقية غدامس 6 نوفمبر 1862، ويعتبر فلاتيرز ممثل الحكومة العامة بالجزائر والنقيب ماسون ممثل هيئة الأركان ويكون توقيعهم مزدوج في حال الاتفاقيات، التفاوض والتفاهم مع جميع زعماء قبائل الطوارق، تطوير الحركة التجارية وتجديدها، إيجاد مكان لإقامه قنصل فرنسي دائم في بلاد الطوارق³، وفي هذا الملحق الوزاري تظهر بوضوح الرغبة الفرنسية في ربط علاقات سلمية مع قبائل الطوارق ويظهر أيضا الاطلاع الفرنسي على أسماء القيادات و الأماكن مثل تسمية واحة تيماسينين، رغم هذا البيان الرسمي الذي حدد اهداف مهمة فلاتيرز الا ان الأهداف الخفية كانت السيطرة بالقوة وفرض النفوذ وضم هذه الصحاري الشاسعة الى الممتلكات الفرنسية في شمال افريقيا.

¹ الشيخ اخنوخ بن عثمان : حاكم او رئيس كونفدرالية طوارق ازجر يتم اختياره بالإجماع بين زعماء قبائل طوارق كونفدرالية ازجر، شخصية محورية وهامة في تاريخ قبائل الطوارق في القرن التاسع عشر، تولى منصب امنوكال ازجر بعد وفاة محمد شفاو اق سعاد، تميز اخنوخ بشخصية قوية ووصفه هنري دوفيرييه بأنه أكبر شخصية في الصحراء الوسطى، طبق سياسة انفتاحيه في عهده على الأجانب حيث أصبحت بلاد طوارق ازجر مرتعا للمغامرين الأجانب والقوافل التجارية، في عهده كانت زيارة إسماعيل بوضربة الى غات، واتفاقية غدامس في نوفمبر 1866، وفي عهده حدثت اغتيالات بالجملة للرحالة للفرنسيين والمبشرين وفي عهده أيضا حدثت مذبحه العقيد فلاتيرز في بئر الغرامة من أراضي كيل اهقار في 16 فيفري 1881، توفي اخنوخ سنة 1886 بعد ان عاش اكثر من قرن (1785 – 1886). انظر: حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ميلادي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 133، وانظر:

Augustin Bernard et n Lacroix, **la pénétration saharienne** 183 196, jacques gandini, paris, 196, p 113

² أهيتاغل اق محمد بيسكا: حكم إقليم اهقار من 1877 الى 1900 تولى منصب الامنوكال بعد وفاة الحاج احمد بن الحاج بكري وفي عهده أهيتاغل حدثت معركة بئر الغرامة بين الطوارق والقوات الفرنسية في 16 فيفري 1881 وانتهت بمقتل العقيد فلاتيرز وكل الفرنسيين الذين معه، انظر: حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن 20، ص 138

³ JACQUES VALETTE. Quelques aspects nouveaux de l'expédition Flatters revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n 15 – 16, 1973, p 25

3. مسار المهمة:

1.3 المرحلة الاولى تحضير وتجهيز القافلة 9 جانفي 1880 – 4 مارس 1880:

في شهر ديسمبر 1879 غادر العقيد فلاتيرز باريس باتجاه مارسيليا ثم مدينة الجزائر والتي وصلها في 12 جانفي 1880، حيث رافق فلاتيرز كل من الضباط الرائد ماسون Masson ممثل قيادة أركان الجيش الفرنسي، النقيب بيرنارد Bernard، الملازم لوشاتلييه Le Chatelier ملازم في سلاح الرماة الجزائريين وضابط المكتب العربي في بوسعادة، الملازم بروسيلارد Brosselard وهو ملازم في الفيلق الرابع، إضافة إلى المهندسين بريني Beringer مهندس الأشغال العمومية، مهندس الطرقات والجسور رابوردين Rabourdin، مهندس المناجم روش Roch، والدكتور غيارد Guiard طبيب ومختص في علم الاحياء، في 4 فيفري 1880 وصل العقيد فلاتيرز الى بسكرة حيث وجد التشكيل الاول للقافلة مجهز من الإدارة المحلية في قيادة بسكرة¹، وفي بسكرة تم تحضير اربعمائة جمل لنقلها الى ورقلة، وتم شراء 15 حصانا من قسنطينة لصالح المهمة الاولى، اخذت بعثة فلاتيرز موادا غذائية متنوعة تكفي لمدة 6 اشهر وهي تتكون من (معلبات، الشاي والقهوة والسكر والأرز) وخمسين برميلا لنقل المياه والشعير، و أربعون مسدسا لتسليح سائقي المهاري، إضافة الى وسائل علمية وتقنية مختلفة، ومجموعة من الهدايا لتبادل مع القيادات الصحراوية بما فيها قادة قبائل الطوارق وهذه الهدايا تتمثل في الاقمشة المختلفة والمجوهرات وأدوات الزينة من باريس، وفي بسكرة تم اخيار 11 جنديا من الكتيبة الافريقية و7 من السكان المحليين عمال يعملون مرافقين للقافلة في المهمات اليومية²، ونستنتج من خلال هذه التركيبة المتنوعة من عسكريين مهندسين وأطباء تنوع اهداف المهمة واهميتها عند الحكومة الفرنسية خاصة من خلال كمية الامدادات الكبيرة و المؤنة التي حملتها القافلة، حيث أولت الحكومة الفرنسية اهتماما كبيرا بهذه المهمة من خلال تعاون المكاتب العربية في قسنطينة وبسكرة وتقرت وورقلة في دعم هذه المهمة بكل الوسائل والطرق

في 7 فيفري 1880 خرج العقيد فلاتيرز من بسكرة باتجاه تقرت و التي وصلها يوم 14 فيفري 1880، في تقرت تم استقبال العقيد فلاتيرز بشكل احتفالي من قبل الاغا إسماعيل ولد قاضي، وانضم الى الاغا في هذا الاستقبال كل من سي معمر واخوه سي محمد الصغير وهم وجوه الزاوية التجانية في تماسين،

¹ V. Derregagaix, *op.cit.*, p 15

² Henri Brosselard, *op.cit.*, p 5

حيث سي معمر مكلف بالشؤون التنظيمية والإدارية للزاوية بينما اخوه سي محمد الصغير صاحب السلطة الروحية والدينية للزاوية، وفي 19 فيفري 1880 وصل العقيد فلاتيرز الى زاوية تماسين حيث تم استقباله وضيافته من قبل الزاوية التجانية هناك وفي الزاوية حصل فلاتيرز على رسائل توصية الى زعماء الطوارق إضافة الى ارسال الزاوية احد مقدميها وهو عبد القادر بن مراد لمرافقة العقيد فلاتيرز في مهمته الى بلاد ازجر، وفي يوم 19 فيفري انقسمت مهمة العقيد الى فريقين حيث توجه لعقيد فلاتيرز الى الجنوب الشرقي من اجل الاستطلاع وتسجيل الملاحظات الجغرافية والطبوغرافية حيث رافقه المهندسون روش و بريني والطبيب غيارد، بينما غادرت بقية المهمة مباشرة نحو ورقلة وكانت تحت قيادة النقيب ماسون، وفي يوم 23 فيفري 1880 وصول النقيب ماسون مع القافلة الى ورقلة، بينما وصل العقيد فلاتيرز ومرافقوه من الضبط والمهندسين الى ورقلة في 25 فيفري 1880، دخل فلاتيرز وكامل مهمته الى وسط قصر ورقلة حيث نصبوا خيام المهمة في الساحة الرئيسية، وفي ورقلة شرع فلاتيرز في الترتيبات النهائية للمهمة قبل الانطلاق نحو أعماق الصحراء، حيث قرر فلاتيرز شراء عدد كبير من الابل وقام اغا ورقلة باستدعاء بدو الرحل من الشعابنة المحيطين بقصر ورقلة من اجل شراء الابل¹، ومنه نستنتج الدور الهام الذي لعبته زاوية تماسين التجانية في هذه المرحلة التاريخية الهامة وذلك من خلال مشاركتها من خلال مقدميها في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، إضافة الى اعتماد العقيد فلاتيرز بشكل كبير على رسائل التوصية من تماسين الى زعماء الطوارق، تعاون الزاوية التجانية في تماسين كان أيضا تعاون مع سلطة الامر الواقع التي فرضت نفسها بالقوة

وفي يوم 77 فيفري 1880 بدأ بدو الشعابنة بالتوافد على ورقلة من اجل بيع الابل ومن اجل الانضمام الى البعثة، قام فلاتيرز بتنويع تشكيلة سائقي الابل من الشعابنة وبني ثور والمخادمة وذلك خوفا من تكتل الشعابنة، في صباح الخميس 4 مارس 1880 تم التشكيل النهائي للقافلة لمتجهة الى بلاد ازجر حيث ضمت إضافة ضباط البعثة والمهندسين والجنود، 30 مرشدا محليا من الشعابنة و 50 سائقو الجمال و 200 من الجمال وفي ظهر نفس يوم انطلقت مهمة فلاتيرز نحو بلاد ازجر²، مع وصول العقيد فلاتيرز الى ورقلة وتجهيز قافلته من الناحية العسكرية واللوجستية إضافة الى تزويدها بالدعم السياسي والمعنوي من خلال رسائل التوصية ومقدم زاوية التجانية بتماسين عبد القادر بن مراد والذي سيرافق العقيد فلاتيرز الى بلاد ازجر، تكون قد انتهت المرحلة الاولى الهامة من هذه المهمة وتبدا المرحلة

¹ Henri Brosselard, op.cit. p 58 61

² -Ipid, p p 67 66

الثانية وهي دخول العرق الشرقي الكبير ثم بلاد ازجر، وتصف الكتابات الفرنسية قبائل الشعانية بالتعصب والتمرد لأنها شاركت في المقاومات الشعبية من مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في نواحي ورقلة والاعواط، ومقاومة أولاد سيدي الأولى والثانية ومقاومة محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة والذي انتهت بالقبض عليه في نواحي عين صالح في 1874، ونواحي عين صالح كانت من مجالات النشاط والرعي لقبائل الشعانية

3.2 المرحلة الثانية للقاء مع الطوارق 7 مارس 1880 – 19 افريل 1880:

في يوم الاحد 7 مارس 1880 دخلت مهمة فلاتيرز في مجالات العرق الشرقي الكبير والكثبان الرملية حيث خيمت مهمة فلاتيرز في ثنية الزميلة وهو المكان الذي خيم فيه الشريف محمد بن عبد الله¹ عندما دخل الى ورقلة في 1851، في يوم 11 مارس 1880 وصلت مهمة فلاتيرز الى منطقة المجيرة الصحراوية وفي هذه الفترات من المهمة كانت المهندسون يقومون بمسح طبوغرافي بينما كان الطبيب غيارد يتتبع الحياة الفطرية. وفي منطقة المجيرة يستقبل فلاتيرز احد شيوخ الشعانية المدعو سي حمد بو الشيخ والذي أدى له زيارة مجاملة وتبادلا فيه التحية حيث ان فلاتيرز يعرف هذا الشيخ عندما قائد دائرة الاعواط، كما

¹ محمد بن عبد الله: من ذرية سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل روجل قرب عين تموشنت، ويذهب آخرون انه تونسي الأصل من بلدة العوينة وينتمي الى المرازيق، وكان في 1840 رجلا خامل الذكر لا سمعة له ولا ذكر فتوجه بعائلته الى مدينة تلمسان واشتغل معلما للقران الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية الى أولاد سيدي الشيخ، وفي عام 1844 تم نفيه الى المشرق حيث ذهب لأداء مناسك لحج وهناك التقى وتعلم على الشيخ محمد بن علي السنوسي، و في عام 1849 عام محمد الى التراب الجزائري و لضبط نواحي الجنوب الشرقي حيث بدأ يرسل القبائل والاعيان وكان على اتصال مع الثائر الناصر بن شهرة، بدأت العروش تتجمع حول مناصرته ثم بايعه اهل ورقلة سلطانا على المدينة في شهر اوت 1851 و بعدها في 12 سبتمبر 1852 انظم اليه شعانية متليلي، وفي ديسمبر هاجم أولاد سعد بن سالم في بلاد أولاد نائل و اصبحت اخباره تترد على مناطق بريان و غرداية و الاعواط و حتى الأبيض سيدي الشيخ، وفي سبتمبر 1852 حاول الزحف نحو الاعواط في فيفري 1852 و اعترضه قوم الاغا الشريف بن الاحرش زعيم أولاد نائل و احد أبناء خليفة الاعواط (الدين) وحدثت مناوشات بين الطرفين عاد الى اثرها محمد بن عبد الله الى ورقلة ثم اختفى مدة من الزمن في بلاد الجريد التونسي انظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في

القرن التاسع عشر والعشرين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 158

بعث هذا الشيخ رسائل توصية الى قبائل الطوارق عن طريق فلاتيرز¹، وهنا يظهر تشعب علاقات العقيد فلاتيرز بقيادات القبائل الصحراوية بحكم منصبه السابق كقائد دائرة الاغواط العسكرية ونستنتج أيضا سعي فلاتيرز في كل مرة للحصول على رسائل التوصية وهو ما يدل على خوف وتردد فلاتيرز من التقدم في بلاد الطوارق

في 15 مارس دخلت مهمة العقيد فلاتيرز في الكثنان الرملية الهائلة حيث وصلت الى منبع عين طيبة، ثم واصلت المهمة طريقها نحو البيوض والتي خيم فيها فلاتيرز، ثم واصل مسيرته حتى وصلت المهمة الى واحة تيماسينين في 29 مارس 1880 ومن هذه الواحة تبدأ بلاد الطوارق وهي تقع في الطريق بين عين صالح وغدامس وفي هذه الطريق حفر الشيخ عثمان بن الحاج البكري² العديد من الابار³، في واحة تيماسينين انتظر فلاتيرز عدة أيام يدرس الأوضاع العامة ويجري استطلاعات في المنطقة، حيث حاول إقامة علاقات مع قبائل الايفوغاس المحيطين بالواحة، لكن الايفوغاس كانوا اسفل وادي ايغرغر⁴ بكثير وبعيد عن

¹ Henri Brosselard, op.cit., p p 78 79

² عثمان بن الحاج البكري: بن الحاج الفقي بن محمد بويابن سي محمد بن سي احمد السوقي بن محمود من فرع امتغاستن من ايفوغاس فدرالية ازجر يحكم ثلاث فروع من ايفوغاس وهو شخصية معتبرة، ابوه الحاج البكري شخصية تحظى باحترام كبير في بلاد الطوارق، يعتبر الشيخ عثمان من اهم الشخصيات التاريخية في تاريخ طوارق ازجر وأهقار وتاريخ الصحراء الكبرى في القرن 19 حيث ساهم في صنع احداث مهمة مثل رعاية رحلات إسماعيل بوضربة وهنري ودفيريه الى بلاد الطوارق، والتوقيع على اتفاقية غدامس التجارية في نوفمبر 1862. انظر:

Henry Duveyrier, **les touareg du nord**, ED, challamel, paris, 1864, p 363

³ General Bernard, les Deux Missions transsahariennes du Lieutenant-colonel Flatters, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, alger. 1909, p p 46 47

⁴ وادي ايغرغر: من أطول الاودية في الجزائر وإفريقيا بلغ طول مجراه على خط مستقيم من منابعه في المناطق الاستوائية حتى يغوص في شط ملغيع غير بعيد عن بسكرة حوالي 1000 كلم، مجراه شديد الانحدار حيث ان مستوى منابعه يقع على بعد 2000 متر فوق مستوى سطح البحر، بينما يقع الشط الذي يغوص فيه تحت مستوى سطح البحر، وايغرغر يتجه من الجنوب الى الشمال نحو الأطلسي وهو يتلقى كميات من الامطار سلسلة جبال الهقار. انظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها،

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص 29

معسكر العقيد فلاتيرز، في هذه المرحلة كان اخنوخ امنوكال¹ ازجر في غات وما ورائها بينما كان اھتياغل امنوكال اھقار يخيم في مكان بعيد في الجنوب الغربي من جبال اھقار، كان فلاتيرز يريد مقابلة سريعة من احد الزعيمين حيث ارسل خطابا الى اخنوخ يدعو الى مقابلة في بحيرة منخور² وانه مستعد للقاءه³، ومن واحة تماسينين قام العقيد فلاتيرز بتكليف احد الشعانبة المرافقين له وهو الصغير بن الشيخ و زوجته من الطوارق ويعرف البلاد جيدا، كلفه بإرسال مجموعة من الرسائل الى عبدالحاكم احد شيوخ الطوارق والى اخنوخ والى بقية قيادات الطوارق في ازجر⁴ ومن هنا نستنتج حرص فلاتيرز الى محاولة معرفة راي امنوكال ازجر وامنوكال اھقار في بعثته حيث بقي ينتظر رد على رسائله، وأيضا تطبيق فلاتيرز لأهداف مهمته والتي كان من بينها الوصول الى تيماسينين و الاستطلاع الأوضاع فيها ونلاحظ تجنب قادة قبائل الطوارق للقاء بفلاتيرز، وحتى واحة تيماسينين كان العقيد فلاتيرز متردد في الطريق الذي سيلكه هل يسلك طريق امقيد ثم جبال اھقار والذهاب نحو معسكر اھتياغل او الذهاب نحو بحيرة منخور ثم غات لمقابلة اخنوخ

¹ الامنوكال: كلمة أمنوكال هي نتاج كلمتين (مسيس) والتي تعني السيد وكلمة (اكال) وهي الأرض او البلد وجمعها هو (مسيس اكال) أي سيد الأرض وتحرفت للضرورة اللغوية، ظهر منصب الامنوكال بعد انتهاء حكم سلاطين الامنان وظهور فدراليتي ازجر وأھقار المستقلتين عن بعضهما، حيث ال الحكم في ازجر الى قبيلة امنان وفي اھقار الى كيل غلا ويكون الامنوكال حصرا من افراد هاتين القبليتين ويكون الاختيار عن طريق الخط الامومي وينتخب الامنوكال من طرف رؤساء العشائر، ويشترك في انتخاب الامنوكال القبائل النبيلة وقبائل الايمغاد، يحصل الامنوكال على ضريبة من القبائل التابعة له سلطات سياسية وعسكرية واقتصادية واسعة وهو بمثابة رئيس الدولة. انظر: حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية، ص 120 و *A, jordin Benhazera, M, Six mois chez les Touaregs de l'Hoggar*, p, 31

² بحيرة منخور: بحيرة في الجنوب الشرقي لها شكل ممدود في اتجاه الجنوب الشرقي، طول حوافها 500 متر من الناحية الغربية تتصل بوادي تيجوجالت، بها ينابيع، عمقها من 3 أمتار الى 7 أمتار، مياهها ممتازة، تحتوي على اسماك جيدة وتظلل الأشجار العالية حوافها، انظر:

p. vuillot. L'exploration du Sahara, op.cit. 180

³ p. vuillot.op.cit, p 178

⁴ Henri Brosselard, op.cit. p 9

في 1 افريل 1880 غادر العقيد فلاتيرز واحة تيماسينين دون وصول ردود التي كان ينتظرها، وبعد مغادرة فلاتيرز لواحة تيماسينين بعدة أيام وصل سي العلا من أولاد سيدي الشيخ الى الواحة بعدما علم بوجود مهمة فلاتيرز فيها حيث كان ينوي مهاجمة البعثة¹ ومنه نستنتج امتداد نفوذ أولاد سيدي الشيخ في الصحراء ومواصلتهم الثورة ضد فرنسا بقيادة سي العلا ، في 2 افريل 1880 استمر فلاتيرز في السير نحو الجنوب حيث دخل سلسلة خنفوسة وهي سلسلة كثبان رملية ارتفاعها 530 متر عن سطح البحر، بعدها وصلت قافلة فلاتيرز الى منبع توسكيرين ثم منبع تيبالبالت، وفي 6 افريل 1880 وصل فلاتيرز الى عين الحجاج وهناك التقى فلاتيرز باثنين من اعيان طوارق الايفوغاس والذين اكدوا له وجود اخنوخن في غات وأهيتاغل في الجنوب الغربي لجال اهقار²، في يوم 11 افريل 1880 وصلت مهمة فلاتيرز الى منطقة ضاية تيبابيتي وهناك قدم على فلاتيرز مبعوثه الصغير بن الشيخ مع مجموعة تتكون 31 من قبائل الطوارق وهم اعيان من قبائل الايفوغاس وإيمتغاستن حيث تم نصب خيمتين كبيرتين لاستقبالهم حيث تم عقد لقاء اولي بين فلاتيرز والطوارق، وفي يوم 13 افريل 1888 انسحب فلاتيرز ومعه الوفد التارقي نحو اسفل ضاية تيبابيتي وتم اجراء مفاوضات انتهت بقول هؤلاء الزعماء لفلاتيرز ان الطريق مفتوح نحو غات لكن بشرط احترام عادات السكان وتم تقديم بعض الهدايا للطوارق واستعراض السلاح الفرنسي امامهم ، لكن هذا اللقاء التفاوضي انتهى بانتظار رد اخنوخن حيث اخبر الزعماء الطوارق انهم لا يستطيعون فعل شيء دون موافقة اخنوخن وان على فلاتيرز انتظار رد اخنوخن في بحيرة منخور حيث غادر فلاتيرز بعد نهاية هذه المفاوضات نحو بحيرة منخور³

في 16 افريل غادر العقيد فلاتيرز نحو بحيرة منخور وهناك بقي العقيد فلاتيرز في انتظار رد اخنوخن الموعود من قبل زعماء الطوارق، كانت كل المؤشرات ان فلاتيرز دخل في حالة حصار وهكذا تدهورت الأوضاع النفسية للحملة الفرنسية بحيث انعدم النظام داخل صفوف المهمة الفرنسية بفعل الفرع والخوف الذي بدا ينتشر في الأجواء، ويسيطر على الحالة النفسية العامة، ومصدر الخوف وهو الرهبة من المزيد من التقدم والتوغل في الصحراء جنوبا، حيث بدا الجميع يتوجس من أنها ستكون مغامرة غير مأمونة العواقب ويبدو ان هذه المشاعر الانهزامية في صفوف الحملة الفرنسية كانت من طرق الطوارق

¹ General Bernard, *les Deux Missions transsahariennes du Lieutenant-colonel Flatters*, p 47

² p. vuillot, op.cit., p 179

³ Henri Brosselard, op.cit. p p 139 141

الذين اتقنوا لعبة الإيحاء والتأثير على الروح المعنوية للحملة الفرنسية بدون قتال، ومن جهة أخرى كانت المؤونة قد بدأت تنفذ، ولم يكن بالإمكان التزود بما تحتاجه الحملة من الطوارق، والذين كانوا يرفضون التعامل التجاري مع المهمة، إضافة إلى لعبة التعطل والمماطلة في انتظار موافقة اخنوخن التي لن تأتي والتي يبدو أنها كانت عملية مقصودة بهدف توريث الحملة الفرنسية وسحبها إلى الداخل أكثر دون موافقة والعمل على استنزاف كافة قواها ومعنوياتها حيث نجحت هذه الخطة بشكل كبير، ويبدو أن العقيد فلاتيرز فهم أن الطريق مغلق نحو غات لذا قرر العودة بسرعة نحو الشمال باتجاه الاغواط عبر ورقلة وذلك ابتداء من فجر يوم 11 افريل 1880¹، في 20 افريل 1880 قرر العقيد فلاتيرز الفرار من بحيرة منخور ليلا بعد فشل مهمته في تحقيق أهدافها²، والملاحظ في هذه المرحلة حالة التردد التي سادت معسكر فلاتيرز والتي بسببها دب الخوف بين أعضاء المعسكر، إضافة إلى خشية الفرنسيين من تملل و تحركات المرشدين الشعانبة

3.3 المرحلة الثالثة انسحاب المهمة إلى الاغواط 21 افريل 1880 - 3 جوان 1880:

في فجر الثلاثاء 20 افريل 1880 غادرت مهمة العقيد فلاتيرز بحيرة منخور باتجاه الاغواط مروراً بورقلة حيث خرجت القافلة في جنح الظلام بعيداً عن عين الطوارق، تم تكليف النقيب ماسون بحراسة مؤخرة القافلة، مرت القافلة بوادي تاجوجل ثم وادي سمعون، وفي يوم 25 افريل 1880 وصل فلاتيرز إلى عين الحجاج وبعدها غيرت القافلة طريقها حيث تجنبنا واحة تيماسينين، وفي 2 ماي 1880 وصلت المهمة إلى البيوض وف البيوض انقسمت المهمة حيث توجه العقيد فلاتيرز وماسون مباشرة إلى ورقلة بنما تم تكلف كل من المهندسين (روش و برني) والضابط برنارد بالتوجه نحو حاس المخازنة من أجل اعداد دراسات جغرافية وطبوغرافية عن المناطق الشرقية لورقلة ومنطقة القاسي حيث تكونت هذه القافلة العلمية من (7 رجال و 11 جملاً و حمولة 10 ايام ماء و 15 يوم طعام)، وفي طريق العودة ظهرت بعض الامراض في صفوف افراد المهمة مثل الزحار، في 9 ماي 1880 وصول العقيد فلاتيرز إلى عين الطيبة، وفي يوم 17 ماي 1880 التحام قافلة فلاتيرز مع القافلة العلمية وذلك في منطقة بامنديل قرب ورقلة، وفي 19 ماي دخول المهمة إلى ورقلة بينما توجه العقيد فلاتيرز مباشرة إلى الاغواط، وفي ورقلة خصصت المهمة

¹ محمد الطاهر العدواني، مرجع سابق، ص 80

² محمد مبارك كديده، النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، جوان 2016، ص 19

بقيادة ماسون يوم لدفع أجور المشاركين في المهمة، وفي 20 ماي 1880 غادرت المهمة ورقلة باتجاه الاغواط حيث مرت بمنطقة بني مزاب وقصورها، وفي 31 ماي 1880 وصلت القافلة الى منطقة تلغيمت جنوبي الاغواط، وفي 3 جوان 1880 دخول القافلة الى مدينة الاغواط¹، ومما يلاحظ سرعة عودة المهمة من بحيرة منخور باتجاه ورقلة حيث وصلت في مدة قياسية إضافة الى تجنب فلاتيرز واحة تيماسينين وهي مركز ديني وسياسي وهذا يدل على هروب العقيد فلاتيرز من مصيره المحتوم في بلاد الطوارق وتجنبه لقاء الطوارق وذلك بتجنب واحة تيماسينين إضافة الى تعجل فلاتيرز في عرض نتائجه على اللجنة الوزارية حيث لم يدخل ورقلة مع القافلة بل ذهب مباشرة الى الاغواط ثم الجزائر وباريس التي وصلها فلاتيرز في 16 جوان 1880 وهذا التسرع من فلاتيرز في عرض نتائج مهمته الاولى إضافة الى وعده للضباط في الاغواط بانه سيقوم ثانية بمحل تساؤلات

4.نتائج المهمة:

ذكر فلاتيرز في خطابه الرسمي تحديد الوضعية السياسية لقبائل طوارق ازجر واهقار، تحديد وضعية غات وازجر اتجاه حكومة طرابلس²، لكن هذا الكلام كان خاطئ او مغلوط من فلاتيرز حول تحديد الوضعية السياسية لبلاد ازجر واهقار فالعقيد فلاتيرز لم يلتقي بامنوكال ازجر اخنوخن ولا بامنوكال اهقار اهيتاغل ولم تواصل معهما ولا مع ممثلي اخنوخن واهيتاغل فكيف جاء هذا الحكم من العقيد فلاتيرز، ثم ذكر العقيد فلاتيرز ان بعته اول بعثة فرنسية عسكرية رسمية تذهب بشكل امن الى بلاد ازجر وتعود بسلام وتحظى باستقبال من السكان المحليين³، لكن هذا الكلام ومغلوط خاصة ان إسماعيل بوضربة⁴ وصل الى بلاد ازجر ودخل غات في 1858 والتقى باخنوخن وسجل ملاحظاته حول رحلته وعاد بشكل امن الى مدينة الجزائر

¹ Henri Brosselard, op.cit, p p 179 193

² Ipid, p 198

³ Ipid, p 198

⁴ إسماعيل بوضربة: ولد إسماعيل بن احمد بوضربة في مرسيليا في 23 جانفي 1821 من أب جزائري مسلم ومن ام فرنسية مسيحية، تنتهي اسرته الى طبقة الحضر في مدينة الجزائر وشارك والده احمد في مفاوضات 5 جويلية 1830 بين الداي حسين ودي بورمون، انتسب الى كلية لويس لو غران العسكرية في فرنسا، اصبح مترجما عسكريا اوليا ثم مترجم عسكري رئيسي، في 1854 قتل فرسه تحت في احدى

وذكر العقيد فلاتيرز ان الطريق الى ازجر امن ومفتوح، ثم يقول انه هناك احتمال إقامة علاقات مع الهقار للوصول الى السودان¹، ونستنتج ان فلاتيرز اخطئ في تقديره فهو ذكر ان الطريق مفتوح نحو بلاد ازجر وهو وصل الى بحيرة منخور فقط لم يستطع الوصول الى غات ولا الى اللقاء بامنوكال ازجر اخنوخن، وحول إقامة العلاقات نستنتج ان فلاتيرز كان له حكم مسبق الى اهقار فهو بعث برسالة الى اهيتاغل امنوكال اهقار والذي لم يرد عليه وما يؤكد هذا الحكم المسبق من فلاتيرز هو مقتله هو وافراد بعثته في بلاد اهقار في بئر الغرامة في 16 فيفري 1881

فشلت مهمة العقيد فلاتيرز من الناحية السياسية بسبب تركيبة المهمة التي ضمت أبناء الشعانية وهم متمردون على السلطة ويرفضون الأوامر وكانوا من أسباب فشل مهمة العقيد فلاتيرز في بلاد ازجر، ولم يعترف فلاتيرز بأخطائه بعثته بل صرح ان مهمته الثانية ستكون ناجحة²، وهنا يظهر حجم التحامل على قبائل الشعانية التي شاركت في المقاومات الشعبية وبقوة مثل مقاومة الشريف محمد بن عبدالله ومقاومة الشريف بوشوشة³ ومقاومات أولاد سيدي الشيخ وهذا سبب تحامل الكتاب الفرنسيين عليهم

المعارك التي خاضها مع الجيش الفرنسي، في عام 1858 كلفة المارشال راندون بتسيير رحلة استكشافية رسمية فرنسية نحو غات و بالتالي مناطق طوارق ازجر، سجل ملاحظاته حول بلاد الطوارق مثل الطرق التجارية و المعاملات اليومية، كانت رحلته الاستكشافية الى غات مقدمة لرحلة هنري دوفيرييه في 1860، شارك إسماعيل بوضربة في مفاوضات اتفاقية غدامس وكان عضوا في الوفد الفرنسي، أمضى وقتا طويلا من خدمته العسكرية في الاغواط، توفي في 16 نوفمبر 1875 بمدينة الجزائر انظر:

Narcisse Faucon, *livre d'or de l'Algérie*, paris, 1889, p p 161 162

¹ Henri Brosselard, op.cit., p 198

² A. Bernard N. Lacroix, op.cit., p 84

³ الشريف بوشوشة: هو محمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة ولد سنة 1839 بالغيشة بالأغواط، ينحدر من اسرة محافظة على التقاليد العربية الإسلامية، حفظ القرآن الكريم، انضم الى جماعة المدافعات في الصحراء منذ 1869، ثم قاد حركة مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بمشاركة قبائل الصحراء مل الشعانية وأولاد سيدي الشيخ ولرباع والمخادمة ودخل ورقلة وتقرت وانتهت مقاومته بإعدامه شهر مارس 1875، انظر: عسى بوقرين، أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863- 1875، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ص ص 118 122

وإتهامهم بإفشال مهمة العقيد فلاتيرز ، لقد فشل العقيد فلاتيرز في مهمته من الناحية السياسية فهو لم يلتقي بزعماء الطوارق ولم يقيم علاقات معهم كما طلبت منه اللجنة الوزارية في اهداف المهمة

تحدث فلاتيرز ودافع انه استكمل الاستكشاف الجغرافي لمنطقة العرق جنوب ورقلة، كما ذكر فلاتيرز اكتشاف ممر واسع جنوب ورقلة يمكن من خلاله مرور سكة الحديد العابرة للسودان على ارض مسطحة وصلبة دون الحاجة الى المرور عبر الرمال، وذكر فلاتيرز إمكانية انشاء خط سكة حديد جنوب ورقلة على مسافة 1333 كلم على أراضي القاسي و الحمادة والرق وتجنب العرق الشرقي الكبير، كما ذكر فلاتيرز توفر مصادر المياه على طول الطريق وهذا ما مكن من حفر الابار ح ذكر ان المياه الحوفية متوفرة وبقوة جنوب ورقلة وان الماء موجود على بعد لا يتجاوز 45 مترا، وهذه النتيجة حول مصادر الماء تذكرنا بنتائج رحلة إسماعيل بوضربة الى غات في 1858، كما حدد فلاتيرز من الناحية الجغرافية الحدود الشمالية الغربية لهضبة الطاسيلي ، كما ذكر فلاتيرز ف خطابه الرسمي انه قام بتحديد دقيق لمسار وادي ايغرغر وسبخة امادغور وتحديد الطريق نحو غات ،انجاز خريطة لمعظم بلاد الطوارق، جلب معلومات في الجيولوجيا والهيدرولوجيا وعلم الحيوان والنبات¹ ، وهنا نلاحظ عمل المهندسين والطبيب غيارد في المهمة

كما قدم العقيد فلاتيرز معلومات عن العرق الرملي الكبير من خليج قابس الى تافيلالت وتسجيل طبوغرافي لمنطقة طاسيلي ازجر إضافة الى تحديد نقوش الجبال واثار ما قبل التاريخ، حققت مهمة فلاتيرز نتائجها العلمية في رحلة العودة حيث تم تحديد مسار وادي ايغرغر والذي يعبر كتلة العرق الشرقي بأكملها من الشمال إلى الجنوب حوالي 450 كلم، إضافة الى نتائج جغرافية شملت مسح جغرافي لأكثر من 1200 كلم² ، وهنا يظهر تحامل وتجاهل الكتابات الفرنسية لعمل إسماعيل بوضربة في رحلته الاستكشافية لغات والتي نتج عنها رسم خريطة دقيقة لإقليم ازجر وتحديد نقاط المياه في الطريق من ورقلة الى غات

خاتمة:

¹ Henri Brosselard, op.cit. 197

² p. vuillot. op.cit, p186

كانت مهمة فلاترز عسكرية ومسلحة تسليحا جيدا وكانت تحت رئاسة ضابط برتبة عقيد وهذا ما تفتن له سكان الصحراء والذين يعرفون فلاترز عندما كان القائد الأعلى لدائرة الاغواط والتي كانت تمتد حتى بلاد الشعانية وورقلة، حيث سعى فلاترز في كل مراحل رحلته على الحصول على رسائل التوصية سواء من أصحاب السلطة الروحية مثل شيوخ تماسين التجانية او من أصحاب السلطة الزمنية مثل رسائل التوصية من القائد السابق للشعانية بوروية ، حتى ان فلاترز اعتبر ان مرافقة مقدم تجاني للمهمة هو انجاز مهم وخطوة هامة نحو محاولة تحقيق النجاح في بلاد الطوارق

فشلت مهمة العقيد فلاترز بشكل كامل فمن الناحية السياسية فشل العقيد فلاترز في اللقاء بزعماء الطوارق وفشل في إقامة علاقات سياسية مع قادة قبائل الطوارق، وفشل في تجديد اتفاقية غدامس وإقامة قنصلية فرنسية دائمة في بلاد الطوارق، وهذا الفشل راجع الى وحدة قبائل الطوارق التي ساهمت في افشال مهمة العقيد فلاترز، حيث افشلت قبائل الطوارق مهمة فلاترز من خلال ابتعاد مخيمات ومعسكرات الطوارق عن انظار فلاترز حتى دخل أعماق بلاد الطوارق وهو ما أدى الى فزع وخوف افراد المهمة وشعور الضباط المرافقين لفلاترز انهم وقعوا في كمين وانهم يتم استدراجهم

حققت مهمة فلاترز نجاحا محدودا في الأهداف العلمية حيث أن رسم خريطة اقليم ازجر وتحديد مصادر المياه في الطريق يعود لرحلة الضابط الأهلي الجزائري إسماعيل بوضربة الى غات في 1858، والغريب ان اللجنة الوزارية الفرنسية ثمنت نتائج المهمة الاولى وكلفت العقيد فلاترز بمهمة ثانية في بلاد الطوارق انتهت مقتله مع افراد بعته في بئر الغرامة في 16 فيفري 1881 على يد مقاومة قبائل الطوارق، كما قدمت مهمة فلاترز بعض المعالم الجغرافية للطريق وذلك بالاستعانة بالأدلاء والمرشدين

نجحت مهمة فلاترز الى ازجر في جمع كمية معتبرة من المعلومات والمعطيات الطبيعية والجغرافية مثل تحديد الاحداثيات الجغرافية وتقديم ملاحظات عن الأرصاد الجوية وتقديم نظريات حول الكثبان الرملية وتشكلها عبر العصور إضافة الى تقديم احصائيات عن مختلف أنواع النباتات والحيوانات والحشرات والزواحف الموجودة في الصحراء، إضافة الى تقديم قوائم بأهم الأعشاب والنباتات في الصحراء الجزائرية

قائمة المراجع:

إسماعيل العربي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهقار، مجلة الاصاله، عدد خاص

بملتقى الفكر الإسلام في تامنغست اوت 1979

المهمة الأولى للعقيد فلاتيرز إلى أزجروودورها في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري 9 جانفي 1880-3 جوان 1880

محمد الطاهر العدواني، المشاريع الاستعمارية في الصحراء والمقاومة الوطنية حملة فلاتيرز 1880،

محنة الباحث، نوفمبر 1986، العدد 4

إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1980

حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ميلادي،

المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010

يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009

محمد مبارك كديده، النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب، مجلة

الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، جوان 2016

عيسى بوقرين، أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875، مجلة الدراسات التاريخية

العسكرية، العدد 02، جويلية 2019

A. Bernard et Lacroix, **la pénétration saharienne (1830 – 1906)**, Edition jacques gandini, Alger, 1906

DERREGAGAIX, **EXPLORATION DU SAHARA**, Les deux missions du lieutenant-colonel Flatters, paris

Henri Brosselard, **les mission Flatters ou payes touareg azdjae et Hoggar**, 1889

p. vuillot. **L'exploration du Sahara**, augustin challamel, éditeur, 1895

General Bernard, **les Deux Missions transsahariennes du Lieutenant-colonel Flatters**

Commandat Rebillet, **Les Relation Commerciales De La Tunisie avec le Sahara et le soudan**, imprimerie berger – levrault, Nancy, 1895

Mac Carthy, **Les transsaharien**, Africa bulletin de la société de géographie d'Alger, 1^{er} annee, 1880

JACQUES VALETTE. **Quelques aspects nouveaux de l'expédition Flatters**, revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n 15 – 16, 1973

Henry Duveyrier, **les touareg du nord**, ED, challamel, paris, 1864

Narcisse Faucon, **livre Dor de l'Algérie**, paris, 1889

الملاحق:



الملحق 1: العقيد فلاتيرز (Henri Brosselard, **les deux missions Flatters**, librairie furme Jouvet et Cie, paris, page de Gard)

LES DEUX MISSIONS FLATTERS.

197

assurer la conservation du matériel de la mission, et je rentrai en France l'un des derniers.

De retour à Paris, le lieutenant-colonel Flatters se présenta le 16 juin à la Commission supérieure du ministère des travaux publics, pour lui exposer les principaux incidents de son voyage, et lui donner communication des résultats obtenus :

« Exploration complète de la région de l'erg ou
 « grandes dunes, au sud d'Ouargla ; découverte d'un
 « large passage, par lequel une voie ferrée peut
 « franchir l'erg en ligne droite, sur un terrain ferme
 « et plat, fond de ballast, sans avoir à surmonter un
 « seul instant l'obstacle des sables ; eau facile à trouver
 « partout en forant des puits dont le maximum de pro-
 « fondeur ne paraît pas devoir dépasser 15 mètres ;
 « possibilité d'établir la voie sans aucune difficulté
 « jusqu'à 1,000 kilomètres sud d'Ouargla, par le gassi,
 « le hamada (plateau rocheux) et le reg (gravier fin
 « très ferme) ; détermination de l'ensemble des points
 « de Tahohait, à la pointe ouest du plateau dit des
 « Azdjer, bien que cette partie soit aux Hoggar ; Ta-
 « hohait commandant l'Igharghar, l'oued Tedjert ; com-
 « munication de l'Igharghar avec la plaine d'Amad-
 « ghor et la voie d'Intalah à Rhât ; reconnaissance
 « du système de l'oued Igharghar qui, grâce à l'élas-
 « ticité donnée, dans le sud, au mot arabe « oued »
 « (rivière, vallée), est bien loin de représenter une
 « vallée avec talweg, comme on l'avait généralement
 « supposé jusqu'ici ; carte exécutée de la plus grande
 « partie du pays des Touâreg Azdjer et d'une bande

« de terrain d'environ 100 kilomètres de largeur
 « moyenne, au sud (32°) jusqu'au 26° degré ; carte par
 « renseignements précis et dûment contrôlés de nom-
 « breuses lignes à l'ouest dans le Hoggar et vers le
 « Touât ; géologie, hydrologie, zoologie, botanique, etc.,
 « des contrées traversées.

« Au point de vue politique : définition exacte de la
 « situation des Touareg Azdjer et Hoggar, de celle de
 « Rhât et des Azdjer vis-à-vis le gouvernement turc de
 « Tripoli, statistiques de toute nature, et surtout pré-
 « cédent établi, d'une mission française nombreuse,
 « allant pacifiquement explorer le pays, et parfaite-
 « ment accueillie des indigènes mis en fête pour la
 « recevoir ; le territoire des Azdjer en quelque sorte
 « ouvert, et presque certitude de pouvoir nous entendre
 « avec un chef réellement influent du Hoggar, pour
 « suivre tel autre itinéraire que nous désirerions vers
 « le Soudan, en nous créant des relations définitives
 « solides dans toutes les régions du Sahara central. »

La Commission supérieure, très satisfaite des travaux qui lui furent soumis et des renseignements détaillés qui lui furent donnés, remercia les membres de la mission, au nom du gouvernement, du dévouement dont ils avaient fait preuve, et des documents qui grâce à eux avaient été acquis à la science.

Dès lors, oubliant leurs fatigues passées, ils ne songèrent plus qu'à préparer la seconde expédition.



الملحق 2: خطاب فلاتيرز حول نتائج الرسمية للمهمة الاولى امام لجنة سكة حديد الصحراء (Henri

Brosselard, les deux missions Flatters, librairie furme Jouvett et Cie, paris, p p 197 19)